الشكوى في شعر شعراء الجاهلية المعمرين

بان سلام نصيف
جامعة الانبار ـ كلية الآدب
قسم اللغة العربية/قسم الادب
bans83419@gmail.com

أ. د. عارف عبد صايل
جامعة الانبار . كلية الآداب
قسم اللغة العربية/ الادب الحديث
dr.arif.abd@uoanbar.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الشكوى، المعمرين، طول العمر، الدهر .

كيفية اقتباس البحث

صايل ، عارف عبد، بان سلام نصيف، الشكوى في شعر شعراء الجاهلية المعمرين، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Complaint in the poetry of ancient pre _ lslamic poets

Ban Salam Nasef
University of Anbar - College of Arts
Department of Arabic Language/Department of Literature

Dr. Arif Abd Sayel
The scientific title: professor
Anbar university - College of literature
The department of Arabic Language
Specialization : modern Literature

Keywords : complaint, longevity, longevity, age.

How To Cite This Article
Sayel, Arif Abd, Ban Salam Nasef, Complaint in the poetry of ancient pre _ lslamic poets, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2024,Volume:14,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

Life in the Arabian Peninsula is a harsh life with many difficulties and troubles, such as people's constant search for pasture and water in order to live. The Arab had to adapt to this life, so these conditions made him strong and capable of defending his family and his tribe from any attack from other tribes. It is known that It is known that the life of the Arabs in pre-Islamic times was based on raiding in order to obtain livelihoods, and the ancient poet, like other poets, defended his tribe. He was a knight, defender, and brave. However, the circumstances of his life created within him a certain complex in himself, especially after his long life, and reconstruction in language. It comes from age and age: life. It is said: his life has been long and his life, two eloquent languages. So if they swear and say: for your age, they swear and nothing else, and the plural is age.

The long-lived poet complained a lot, as he lamented the days of his youth, health, strength, and courage that had passed. Signs of old age appeared on him, and his psychological state worsened, which made him take complaints as an outlet through which to express his feelings and feelings and to protect himself from further deterioration. He is old. Fatigue and illness overtook him, so the long-lived poet complained of sickness, time, and long mourning, and he complained of the intensity of fatigue and his grief over his past youth. Therefore, Al-Muammar was a poet with a shaky psychological state, due to his prolonged longing and oppression over the days of his youth and youth. Then the situation changed and gray hair appeared after strength and intensity of valor. It was a reason for making... A person's psychology is vulnerable to crises, let alone the poet, who possesses sensitivity and the ability to express, so this expression was a vivid picture of reality at that time.

الملخص باللغة العربية:

الحياة في شبه الجزيرة العربية حياة قاسية فيها الكثير من الصعاب والمتاعب، كبحث الناس الدائم عن الكلأ والماء من اجل العيش، وكان لابد للعربي من التأقلم على هذه الحياة، فجعلته هذه الظروف قويا قادرا على الدفاع عن أسرته وقبيلته من أي هجوم من القبائل الأخرى، فالمعروف ان حياة العرب في الجاهلية قائمة على الاغارة من أجل الحصول على موارد العيش، وكان الشاعر المعمر شأنه شأن بقية الشعراء يدافع عن قبيلته فهو فارس ومدافع وشجاع الا ان ظروف حياته كونت في داخله عقدة معينة في نفسه خاصة بعد أن طال عمره، والتعمير في اللغة جاء من العَمْر والعُمُر والعُمْرُ : الحياة يقال: قد طال عَمْرُه وعُمْرُه، لغتان فصيحتان، فإذا اقسموا فقالوا: لَعَمْرُك فتحوا لا غير، والجمع أعمار.

وقد كثرت لدى الشاعر المعمر الشكوى فهو يتأسى على ما فات وانقضى من أيام الشباب والتنعم بالصحة والقوة والشجاعة، فقد ظهرت عليه معالم الكبر وتأزمت حالته النفسية مما جعله يتخذ من الشكوى منفذا كي يعبر من خلاله عن مشاعره وأحاسيسه وكي يقي نفسه من التأزم أكثر، فهو كبير قد لحقه التعب والمرض فشكا الشاعر المعمر من المرض والدهر وطول الثواء وشكا حدة التعب وتأسيه على الشباب المنصرم، لذا فالمعمر شاعر ذو حالة نفسية متزعزعة، بسبب طول ثوائه وقهره على أيام صباه وشبابه، فتبدل الحال وظهر الشيب بعد القوة وشدة البأس، كان سببا في جعل نفسية المرء عرضة للتأزم، فما بالك بالشاعر وهو يمتلك رهافة حس وقدرة على التعبير، فكان هذا التعبير صورة حية للواقع آنذاك.

المقدمة

المرء في الجاهلية يتعرض للكثير من المواقف التي تؤثر عليه بصورة واعية او غير واعية، والشاعر معرض لمثل هذه المواقف لكونه فرد من المجتمع والقبيلة والأسرة، لذا نلحظ ان الشعراء المعمرين فئة من الشعراء عانت ما عانت من التهميش والعزل وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعمر في قوله تعالى:[وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ]. (سورة فاطر: الآية١١)، فلهم شكاوى كثيرة عبروا من خلالها عن مكنونات انفسهم فقد عدت هذه الشكوى منفذا يحاول الشاعر من خلاله أن يخفف عن نفسه كثرة الهموم والمتاعب، فبرزت عنده شكوى من المرض لكون هذا المعمر قد لحقه المرض بعد أن طالت سنين عمره وله شكوى من طول العمر وانقضاء الشباب وشكوى من الشيب، فهذه الشكوى كانت سببا في جعل الشاعر يبدع نصوصا شعرية أدت الى فهم طبيعة تأثره بالأحداث من حوله.

اذ أصبح الشعر في بعض الأحيان بمثابة القاعدة التي يتكئ عليها الشاعر في التعبير عن الأفكار التي يحويها ذهنه والتي تعلق بها فهما وتأثيراً، وهذه الأفكار بينت الخبرة التي اكتسبها الشاعر المعمر من خلال سنوات عمره الطوال، لذا أبدع لنا نصوصا في الشكوى وضحت ما يجول في داخله من أحاسيس. وعليه اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد تضمنت طبيعة حياة المعمر في ذلك العصر ومدى تأثيره بصروف الدهر وحوادثه كما وتضمن تعريف المعمر في اللغة والاصطلاح.

وختمنا بحثنا بأهم النتائج التي وصل اليها الباحث، ثم اتبعت بأهم المراجع والمصادر التي اعتمدنا عليها

فالشكوى في اللغة: وتَشكَّى: كَشَكا. وتَشاكى القومُ: شَكا بعضهم الى بعضٍ... عنه بِسوءِ فِعلهِ بك، فهو مَشْكُوٌ ومَشكِيٌ، والاشتِكاءُ إظْهارُ ما بِك من مَكْروهٍ أو مَرَضٍ ونحوهِ. وشَكَوتُ فلانا أشكوهُ شَكْوى وشِكايَةً وتَشكية[1]"

وقد قيل الشكوى من الميول الفطرية التي يلجأ اليها المرء عند شعوره بالحزن والألم والظلم فهذه الاحاسيس تمثل اضطراب الحياة الاجتماعية لديه لذا يلجأ لمثل هذا الفعل لأجل ان يخفف عن نفسه شعورة بالحزن الظلم لذا" الشكوى هي تعبير عن الحرمان والاحساس بظلم وتظهر عندما تتعقد ظروف الانسان"[2] يحاول من خلالها الانسان الاتكاء على شيء يمنعه من السقوط ، فيبث همه في اطار من الحزن" [3]،وعرفت الشكوى انها "التوجع من شيء تنوء به النفس كالمرض والفقر، والشيخوخة والحر، والموت، والدهر، والخيانة، والكذب، ويتجلى من خلاله بث ما يعانيه ذو الشكوى الى الآخرين"[4]، لذا "الشكوى تخفف الألم وتزيل الهم"(٥)، وتكون "الشكوى

حينما يكون الانسان عاجزا جسميا وعقليا عن الوصول الى هدفه ومطامعه واشباع حاجاته، فيشكو قلة حيلته ليجد المتنفس لمشاعر الحزن والضيق والسخط التي يحس بها "(٦).

وقد اتخذت الشكوى في ديوان الشعراء المعمرين مجالا واسعا فكان لها نصيب وافر من أشعارهم وذلك لطول ثوائهم ومللهم من الحياة بعد ان أصبحوا مسنين لم يبق من اقرانهم أحد، فالمرء يشعر بالحسرة والألم على نفسه حينما أصبح وحيدا كبيرا في السن لا يقوى على فعل شيء، فيعد طول العمر وما يصاحبه من تعب في الأجساد ومرض من أكثر البواعث التي أثرت في نفوس الشعراء فالمعروف ان البدوي شاعر وفارس لا يهاب شيء فهو يتحسر على شبابه المنقض وتبدل أحواله من القوة والشجاعة الي الوهن والمرض مما جعلهم يبدعون صورا فنية واضحة الدلالة مستمده من واقع معيشتهم آنذاك واكثر ما يخافه المرء عند كبره ان يبقى ضعيفا وحيدا وان ما عاناه المعمرين من معاناة جعلهم يملون العيش ويتمنون الموت، والشاعر بكثرة شكواه من المرض وطول العمر والملل من الحياة فهو يجسد حقيقة ان النفس البشرية تتأثر بهذه الأحداث خاصا بعد مرور الزمن وطول العيش وبهذا تكون شكوى الشعراء في هذه الفترة من العمر مبررة لأن طول العمر والحنين الى الشباب أكثر ما عاناه المعمرين ومثل حسرة لديهم، وشكوى الشاعر الجاهلي بسيطة مستمده من بساطة الحياة في ذلك العصر وهي غرض يطرقه الشعراء في كل زمان وتصدر من نفس بشرية أرهقتها ظروف الدهر لذلك تكون حرارة المشاعر وصدق العاطفة واضحة في شعر الشكوى لدى الشعراء(٧)، ومن هنا فان الشكوى في جانب كبير منها "تعبير ذاتي عن هموم الانسان الناتجة عما يعرض له من مشكلات الحياة الخاصة والعامة التي تواجهه عندما تشتد ، وتتعقد ويفقد السيطرة عليها فتحيطه الهموم من كل جهة ، وعند ذلك ينفجر بالشكوى مصورا للآخرين مشكلته ... (٨)، ويكثر الشاعر المعمر من الشكوى للتخفيف من همومه وما يثقل نفسه من أمور الحياة وكذلك يصور الواقع الذي يعيشه تصويرا حيا واضحا بعيدا عن الكذب والمبالغة، حيث تكشف لنا الشكوى عن أسباب نفسية كثيرة قد بينها الشاعر في اشعاره بوعي او لا وعي تمثل حالات من الاضطراب والقلق والخوف مما جعله يعبر عنها في شعره.

والحياة الجاهلية كما هو معروف حياة خشنة صعبة فيها الكثير من المتاعب والهموم مما جعلت الحالة النفسية لدى الشعراء متأزمة لذا حاول هؤلاء الشعراء التخفيف عما في دواخلهم من مشاعر واحاسيس ومتاعب عن طريق الشعر، لذلك يعد هذا الشعر صورة واقعية عن الحياة في ذلك العصر ولا سيما الشكوى فتكون اما شكوى من المرض او طول العمر او الفقر او الحنين الى الشباب وكل هذه تعد بواعث نفسية ساعدت على فهم موقف هؤلاء الشعراء من حوادث

الدهر وبهذا عدت الشكوى لدى المعمرين مبررة وواردة في أشعارهم بكثرة فالديوان زاخر فيها لأن المعمر انسان وشاعر يشعر ان الحياة طويلة جدا مما مر عليه من الحوادث والأيام فهو يشكو شدة المرض وضعف القوة.

أما أشعار الشكوى عند الشعراء المعمرين فلها معانٍ عدة وأولها الشكوى من طول العمر حيث شكا الشاعر أكثم بن صيفي التميمي مللة من الحياة بقوله (٩)

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مئة لم يسأم العيش جاهل**

أتت مئتان غير عشر وفائها * وذلك من مر الليالي قلائل**

فيبين الشاعر انه عاش طويلا لذلك سأم من أحداث الزمان وتكرار الليالي ويوضح جزعه ومللة من الحياة فحياة البدوي الكبير في السن عبارة عن وهن ومرض وفراغ جعله يسأم طول عمره.

وهذا أنس بن مدرك الخثعمي يشكو أيضا لنفس السبب فيقول: (١٠)

إذا امرؤ عاش الهنيدة سالما * وخمسين عاما بعد ذاك وأربعا**

تبدل مر العيش من بعد حلوه * وأوشك أن يبلى وأن يتسعسعا**

ويأذى به الأدنى ويرضى به العدا * إذا صار مثل الرأي أحدب اخضعا**

رهينة قعر البيت ليس يريمه * لقى ثاويا لا يبرح المهد مضجعا**

يخبر عمن مات حتى كأنما * رأى الصعب ذا القرنين او راء تبعا**

الحالة النفسية للشاعر متأزمة جعلته يوضح حاله بعد أن عاش مدة طويلة من الزمن فيبين انه رهين البيت جالسا فيه كما الطفل في المهد ويسمع أخبار من مات كأنما لم يبق من أقرانه أحد في شكواه ويبين الشاعر أوس بن ربيعة الأسلمي سأمه من الحياة فيقول: (١١)

لقـــد خلفـــت حتـــى مـــل أهلـــي *** ثـــوائي فـــيهم وســـئمت عمـــري

وحـــق لمـــن أتـــت مئتـــان عامـــاً *** عليـــه وأربـــع مـــن بعـــد عشـــر

يمـــل مـــن الثـــواء، وصـــبح يـــوم *** يغاديـــه، وليـــل بعـــد يســـري

فـــأبلى جـــدتي وبقيـــت شـــلوا *** وبـــاح بمـــا اجـــن ضـــمير صـــدري

ان تكرار الأيام وتعاقب الليل والنهار وملل الأهل من الشاعر جعله يشكي طول عمره بعد ان عاش مئتين وأربعة عشر سنة فهي ليست بالأيام القليلة فحياته مليئة بالأحداث والتعب والقهر لذلك شكا طول عمره والواضح ان الملل من الحياة من أكثر البواعث النفسية التي ساعدت في تأزم حالة الشعراء المعمرين.

وشكا الربيع بن ضبع الفزاري حالته لذات الغرض في قوله :(١٢)

خرفـت وافنتنـي السـنون التـي خلـت *** فقـد سـئمت نفسـي الحيـاة وملـت

تجـاوزت فـي يـوم الهبـاة هنيـدة *** والفيـت عـودا حـين مـا حـين حلـت

تتكرر شكوى الشعراء من طول أعمارهم وسأمهم من الحياة فالشاعر هنا شكا طول عمره بعد ان تجاوز المئة فقد عاش ثلاثمئة وأربعين عاما(١٣).

اما سنان بن وهب التميمي فيتحدث قائلا: (١٤)

لقـــد عمـــرت حتـــى صـــرت كـــلا *** مقيمـــا، لا أحـــل ولا أســـير

وكيـــف بمـــن أتـــت مئتـــان عامـــاً *** عليـــه أن يكـــون لـــه نكيـــر

يـم فـإن يكـن الشـباب قضـى حميـدا *** وشـــيب لمتـــي الـــدهر الختـــور

عمـــرت ببلـــدح عمـــرا طـــويلا *** ولـــيس ببلـــدح الا الصـــخور

تـــأذى بـــي الأقـــارب بعـــد انـــس * كـــــأني فـــــيهم فـــــرخ شـــــجير**

فلـــــم اك نأنـــــأ يـــــا ام عمـــــرو * إذا نزلـــــت بســـــاحتي الأمـــــور**

يشكو الشاعر شدة المه وحسرته بعد ان أصبح شيخا كبيرا لا يقدر على فعل شيء فقد عاش مئتين عاما فشكا الدهر وصروفه وتبدل أيام الشباب بالضعف والتعب وبين حال اهله وكيف جزعوا منه بسبب تعبه الشديد فالشاعر يتأسى على نفسه بعد أن كان رجلا قويا، وهو يشعر بالغربة في مكانه فلم يبق من عمره أحد يخفف عنه مرارة الأيام وشكواه من التعب.

ويشكو كهمس بن شعيب الدوسي بقوله: (١٥)

وقـد عشـت حتـى قـد مللـت معيشـتي * وايقنـــت حقـــا ان ســـألقى المـــوكلا**

وان لا نجـــاة لأمـــرئ مـــن منيـــة * ولـــو حـــل فـــي أعلـــى شـــماريخ يـــذبلا**

نلحظ ان شكوى الشاعر من طول عمره تتخللها الحكمة والاقرار بحتمية الموت فهو موقن ان الموت اتٍ وانه لا جدوى من هروب المرء منه وهو آتيه ولو هرب في أعالي الجبال وكذلك نرى ان شكوى الشاعر فيها نوع من التصبر والايمان بحتمية انقضاء الأشياء.

ويبدأ مالك بن المنذر البجيلي شكواه بذكر الشباب فيقول: (١٦)

اكلـــــت شـــــبابي فأفنيتـــــه * وامضـــــيت بعـــــد دهـــــور دهـــــورا**

ثلاثـــــة اهلـــــين صـــــاحبتهم * فبـــــادوا وأصـــــبحت شـــــيخا كبيـــــرا**

قليـــــل الطعـــــام، عســـــير القيـــــا * م قـــــد تـــــرك الـــــدهر قيـــــدي قصـــــيرا**

ابيـــــت اراعـــــي نجـــــوم الســـــماء * اقلـــــب امـــــري بطونـــــا ظهـــــورا**

بين الشاعر انقضاء فترة شبابه وكيف عاش أياما طويلة بعده فقد عليه ثلاثة أجيال من أهله ففارقوه حتى أصبح شيخا كبيرا كما ويصف حاله بأنه قليل الطعام ولا يقدر على القيام وانه لا يستطيع النوم فهو يراقب النجوم يتقلب على جنبيه من شدة تعبه لطول عمره.

ومن الشعراء من شكا من الوحدة وهي إحساس قوي يؤثر على الحالة النفسية للشاعر بعد أن يصبح كبيرا في السن رهين البيت لم يبق له أحد من الأهل والأصحاب فهذا ثعلبة بن كعب الأوسي يشكو من الوحدة بقوله (١٧):

مضـــوا قصـــد الســـبيل وخلفـــوني * فطـــال علـــيَّ بعـــدهم الثـــواء**

فأصـــبحت الغـــداة رهـــين بيتـــي * واخلفنـــي مـــن المـــوت الرجـــاء**

فيشكو الشاعر وحدته بعد مفارقته لأهله وأصحابه حيث بقي وحيدا بعد كبر سنه رهين بيته ويتمنى الموت لشدة وحدته.

وحاله كحال الشاعر الحارث بن حبيب الباهلي فيقول: (١٨)

فنيـــت وافنـــاني الزمـــان وأصـــبحت * لـــداتي بنـــو نعـــش وزهـــر الفراقـــد**

فقد أثرت فيه تصاريف الزمان وحوادث الدهر حتى أصبح شيخا كبيرا ويشبه طول عمره بعمر النجوم وللشاعر نفسه في موضع آخر شكوى شوق وحنين الى الشباب جسدت حالته النفسية فيتمنى أن يشتري الشباب بعد كبر سنه بقوله: (١٩)

الا هـــل شـــباب يشـــترى بعجيـــب * بـــألف قلـــوص او بـــألف نجيـــب**

وهـــل مـــن شـــباب يشـــترى بعـــد كبـــرة * يـــدل عليـــه الحـــارث بـــن حبيـــب**

فمـــن لاســـوداد الـــرأس بعـــد ابيضاضـــه * ومـــن لقـــوام الصـــلب بعـــد دبيـــب**

جسد الشاعر شوقه للشباب وتمنيه لعودته ولو بشرائه فهو يشكو ضعف قوته بعد أن كان صلب القوام ويشكو من الشيب وكل شكواه هذه تعد باعثا نفسيا أثر في نفسية الشاعر المعمر مما جعله يتمنى عودة الشباب، واتخذ الشاعر من نكرانه للشيب وتمنيه لعودة الشباب متنفسا يعبر من خلاله عما يكن في نفسه من مشاعر حزينة تتماشى مع واقع حياته بعد طول عمره.

اما ربيعة بن عبد الله البجلي فيشكو لذات الغرض بقوله: (٢٠)

أمـــيم أمـــيم قـــد أودى شـــبابي * وأخلفنـــي البطالـــة والتصـــابي**

أرانـــي قـــد نحلـــت وصـــرت حلســـا * لقعـــــر البيـــــت مفتقـــــر الشـــــباب**

وقـــد ذهـــب الـــذين ولـــدت فـــيهم * وقـــــد رحلـــــت لشـــــقتهم ركـــــابي**

وســـــلهبة وهبـــــت لغيـــــر صـــــهر * فلـــــم أبكـــــر امـــــيم علـــــى الثـــــواب**

يبدأ الشاعر ابياته بالنداء فهو ينتظر جوابا لهذه الأسئلة التي تدور في داخله بعد ان ذهب شبابه وذهب معه التصابي وجهل الصغر فقد بقي حبيس بيته لا يغادره ابدا ونلحظ ان تشبيه الشاعر جسد حقيقة الألم والحسرة على الشباب الراحل بعد أن طال عمره ورحل عنه الأحبة والأصحاب.

ومن الشعراء من شكا شعوره من الوحدة فتختلط عندهم المشاعر بين تذكر الأهل والأصحاب وأيامهم وبين تركهم إياه وحيدا ليس لديه سوى ذكرياتهم الكثيرة والشاعر بهذا العمر تكون حالته النفسية متأزمة مما دفعه ذلك للشكوى من هذه المشاعر فهذا ثعلبة بن كعب الأوسي يشكو من الوحدة بقوله (٢١):

مضـــوا قصـــد الســـبيل وخلفـــوني * فطـــــال علـــــيَّ بعـــــدهم الثـــــواء**

حيث يشتكي الشاعر من شعوره بالوحدة بعد أن تركه الأهل والأصحاب وحيدا اذ طال به العمر وبقي كثيرا على هذه الأرض وأكثر ما عاناه الشاعر المعمر الوحدة إذا هي شعور قاسي يمر على المرء بعد أن كانت حياته مليئة بالصحب والأحباب.

ومنهم من شكا من المرض فبعد أن تمضي فترة الشباب وتتغير حياة الفرد بدخوله فترة جديدة وهي فترة التعب والشيب والمرض فالمعمرون خصوصا قد شعروا بتغير الحياة بعد أن ضعفت قواهم وأحسوا بالمرض ودنو الأجل فالمعمر الذي عاش مئة سنة وأكثر على أقل تقدير تخور قواه ولم يعد قادرا على فعل شيء لذلك جسدت شكوى الشعراء من المرض حقيقة احساسهم في تلك الفترة من العمر فيتحسر الفرد منهم على أيام قوته وهو ينعم بالصحة والقوة بعد أن أدركه المرض والتعب فيشكو جعفر بن قرط الهزاني ما فعلت به الليالي فقد لحقه المرض فيقول (٢٢):

ان الـليـالـي أسرعـت فـي نـقـضـي

أكـلـن بـعـضـي وتـركـن بـعـضـي

وحق لمن عاش ثلاثمئة سنة أن يشكو من شدة المرض بعد ضعف القوى وهوان الجسد

اما عوف بن سبيع القضاعي فيقول: (٢٣)

الا هـل لمـن أجـرى ثمـانين حجـة * الـى مئـة عـيش وقـد بلـغ المـدى**

ومـا زالـت الأيـام ترمـي صـفاته * وتغتالـه حتـى تضعضـع وانحنـى**

وصـار كفـرخ النسـر يهتـز جيـده * يـرى دون شـخص المـرء شخصـا إذا رأى**

وبـدل مـن طـرف جـواد حشـية * ومـن قوسـه والـرمح والصـارم العصـا**

وانـي رأيـت المـرء يظعـن جـاره * لنيّتـه لابـد يومـا وإن ثـوى**

شكا الشاعر من مرضه وضعفه بعد أن عاش مئة وثمانين عاما حتى انحنى عوده وضعف جسده بعد أن كان فارسا شجاعا كما ويشبه نفسه بفرخ النسر الذي يرتجف في أول عمره ولا يرى شيئا ومشاعر الشاعر مختلطة بين شكواه من طول عمره والمرض وبين قناعته بأن الموت سيدركه وان طال عمره.

اما فالج بن خلاوة الأشجعي فيشكو لنفس الغرض فيقول (٢٤):

فلمـا رمـاني الـدهر صـرت رزيـة * لكـل ضـعيف الـركن أكشـف أعـزل**

فيـا دهـر قـدما كنـت صـعبا فلـم تـزل * بسـهمك ترمـي كـل عظـم ومفصـل**

فقـد صـرت بعـد العـز أغضـي مذلـة * علـى الهـول والأزمـان ذات تنقـل**

فكـم قـد رأيـت مـن همـام متـوج * مـن التيـه يمشـي طامحـا كالسـبهلل**

فأصبح بعد التّيه كالبعر ذلة * قليـل البتـات كالضـريك المعيـل**

نرى كيف أصبحت حالة الشاعر بعد أن كبرت سنه وبقي ضعيف فقد تبدلت تلك القوة بالمرض والتعب فلم يترك الدهر والمرض لا عظم ولا مفصل حسب قوله وظل يمشي بلا وجهة يتوجه اليها فهو بائس جائع من سوء حاله.

ونلحظ ان فضالة بن زيد العدواني يشكو بقوله ٢٥

رمتني صروف الدهر حتى تركنني * أجب السنام بعدما كنت أيهما**

فخلت سهول الأرض وعثا ووعثها * سهولا، وقد أجررت أن أتكلما**

وكان سليطا مقولي متناذرا * شذاه، فصرت اليوم م العي أبكما**

كذلك ريب الدهر يترك سهمه * اخا العز والأد الذليل المذمما**

يشكو الشاعر مرضه بعد ان كان شجاعا يجول الأرض السهل منها والصعب ثم أصبح لا يقدر على الكلام بعد ان كان سليط اللسان ينذر قوه من الشر.

وشكا الشعراء من الدهر وصروفه كثيرا فهذا الحارث بن مضاض الجرهمي يشكو ما فعلت به الأيام فيقول: ٢٦

تمادت بي الأيام حتى تركنني * كمثل حسام أفردته القلائد**

ونادى بي الأدنى واشمت بي العدا * ويأمن كيدي الكاشحون الاباعد**

يشبه الشاعر حاله بالسيف الذي جرد عن غمده وكيف أصبح بعد أن ضعفت قواه وتوالي حوادث الزمن عليه فأصبح يأمن كيده العدو المبغض.

اما خنابه بن كعب العبشمي فيشكو الدهر وفعله به ٢٧

علي لسان صارم ان هززته * وركني صفيف والفؤاد موفر**

كبرت وأفنى الدهر حولي وقوتي * فلم يبق لا منطق ليس يهذر**

وبين الحشا قلب كمي مهذب * متى ما ير اليوم العشنزر يصبر**

تلعبت الأيام بي فتركنني * أجب السنام حائرا حين أنظر**

أرى الشخص كالشخصين والشيخ مولعٌ * بقول أرى والله ما ليس يصبر**

أرى الشخص كالشخصين والشيخ مولعٌ * بقول أرى والله ما ليس يصبر**

يبدأ الشاعر حديثه بذكر صفاته فهو صارم في الحديث لا يهذر فيه حافظ للسر ومن ثم شكا ما فعلت به الأيام بعد أن كبر فيبين أن الأيام قد لعبت به وتركته حائرا وعلى الرغم من شكواه فالأبيات فيها شيء من الحكمة والفهم الواضح للأيام ويمكن أن يعزى ذلك الى اسلامه فقد أدرك الإسلام وتوفي في عهد معاوية بن ابي سفيان بعد أن عاش مئة وأربعين عاما.

اما ربيعة بن عزي الاسدي فيشكو لذات الغرض قائلا: ٢٨

أبا جعاد اليوم افناك الكبر(29)

والدهر فينات فحر وخصر

أيام اذ تجبي لك السمن مضر

في قيس عيلان وأحياء أُخر

حديث الشاعر مع نفسه يوضح شكواه من الدهر بعد طول عمره فيصف الدهر بأنه قد افناه حتى بردت أطرافه ثم يذكر بعد ذلك انه تولى في أماكن وقبائل كثر.

وهذا سعيد بن أحمر الكندي يقول: ٣٠

بليت وافنتني السنون وأصبحت * لداتي نجوم الليل والقمر البدر**

ثلاث مئتين قد مررنَ كواملا * فيا ليتني ثور لما صنع الدهر**

يشكو الشاعر ما فعلت به السنين فقد طال به الثواء حتى تركه الأهل والأصحاب وأصبح الليل والقمر هم ندمائه فيذكر انه عاش ثلاثمئة عاما فيتمنى لو كان كالمجنون حتى لا يشعر بحوادث الدهر وصروفه

ونرى ان صرمة بن أنس الخزرجي يقوله (٣١):

بـدا لـي إنـي عشـت تسـعين حجـة * تباعـا وعشـرا عشـتها وثمانيـا**

فلـم ألفهـا لمـا مضـت وعـددتها * بحسـبتها فـي الـدهر الا لياليـا**

وكـأني وقـد خلفـت تسـعين حجـة * خلعـت بهـا عـن منكبـي ردائيـا**

يبدأ الشاعر شكواه بذكر سنين عمره التي عاشها فحسب قوله انه عاش مئة وثمانية أعوام غير أنه لم ينتبه لها لما مر عليه من صروف الدهر وحوادثه فهو يصف حسرتهُ وألمه على السرعة التي مضت بها الأيام فيبث شكواه في البيت الآخر ويصف تلك السنين انها مرت وكأنها بسرعة خلع ردائه عن منكبيه والشاعر بعد أن عاش سنيناً طويله يجد في الشكوى من الدهر راحة لنفسه وتخفيف عما يكابده من مشاعر الوحدة والحسرة على أيامه التي مضت.

وهذا المسحاج بن سباع الضبي يشكو قائلا (٣٢):

حنتنـي حانيـات الـدهر حتـى * كـأني خاتـل يـدنو لصـيد**

قريـب الخطـو يحسـب مـن يرانـي * ولسـت مقيـدا إنـي بقيـد**

شكوى الشاعر من صروف الدهر واضحة الدلالة فقد شكا انحناء ظهره مما مر عليه من أيام وحوادث فيشبه نفسه لشدة انحناء ظهره كأنه متهيء للصيد منحني لا يرى ويصف خطواته بأنها قريبة كخطوات شخص مقيد الأرجل.

وتعد الشكوى من أشهر الموضوعات التي دارت على السنة الشعراء المعمرين فالمعمر انسان وشاعر يتأثر بعد طول عمره بما يمر عليه من تغيرات جسديه ونفسية.

وبهذا أكون قد توصلت الى نتائج منها:

١_ان هنالك فئة من الشعراء سميت بالمعمرين لطول أعمارهم وطول ثوائهم في الأرض فقد تجاوزت أعمارهم المئة والعشرين وأكثر لذلك سموا بالمعمرين

٢_ان طول العمر عند المعمرين كان سببا في تأزم حالتهم النفسية وجعلهم يبدعون نصوصا شعرية ذات معنى أدى الغرض المطلوب فالمعمر قد مرت عليه احداث كثيرة جعلته يفهم الحياة ويتمنى التخلص منها

٣_مثل إحساس الشاعر بدنو الاجل صورة حية للواقع الذي عاشه المعمر بعد ان طال ثوائه وأحس بطول الزمن وبطئ انقضائه فالمعمر يعتقد ان الموت هو النهاية لذلك يمثل تمنيه له وشكواه منه راحة من صروف الدهر

٤_شكلت الشكوى في هذه الدراسة الباعث الأبرز والاهم فهي متنفسا للشاعر للتعبير عن شكواه من المرض والدهر والكبر والفراق لذا عدت باعثا نفسيا كبيرا في عملية الابداع الشعري لدى المعمرين .

الهوامش:

١. لسان العرب: مادة (شكا)
٢. مقاله (شعر البصرة في القرن الرابع الهجري) بيان علي الرحيم: ١
٣. ظاهرة الشكوى في شعر هذيل، ١٧٦
٤. المصدر السابق ١٧
٥. محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ٤٣٨/٢
٦. *الشكوى* في شعر القرن الرابع الهجري، ٤
٧. ينظر: الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري (أطروحة دكتوراه) ٧
٨. نظرية الادب، رينيه ويلك، ترجمة محي الدين صبحي، ٩٧ _ ١١٤
٩. الديوان: ٢٧٥
١٠. الديوان: ٢٩٨ _ ٢٩٩
١١الديوان: ٣٠٥
١٢الديوان: ٣٤٥
١٣. المعمرون والوصايا: ٨-٩
١٤. الديوان: ٣٦٢
١٥. الديوان: ٥١٢
١٦. الديوان: ٥٢٢
١٧. الديوان: ٣١١
١٨الديوان: ٣٢٤
١٩ . الديوان: ٣٢٣
٢٠_الديوان: ٢٥٤
٢١. الديوان: ٣١١
٢٢. الديوان: ٣٢٠
٢٣الديوان: ٤٨٩
٢٤. الديوان: ٤٩١
٢٥الديوان: ٤٨٥
٢٦. الديوان: ٣٣٠
٢٧. الديوان: ٣٣٧
٢٨. الديوان: ٣٥٦
٢٩. الديوان: ٣٥٦الخصر: البرد يجده الانسان في اطرافه
٣٠الديوان: ٣٦٠
٣١. الديوان: ٣٨٧

٣٢الديوان: ٥٣٨

المصادر والمراجع :

●القران الكريم،

●جمهرة اللغة، لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧.

●ديوان الشعراء المعمرين اخبارهم واشعارهم في الجاهلية الى نهاية العصر الاموي، شمس الإسلام احمد حالو، دار الكتب الوطنية، ط١، ٢٠١٠.

●الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ظافر عبد الله علي الشهري، أطروحة دكتوراة، كلية اللغة العربية_ جامعة ام القرى، ١٩٩٠.

●الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري، جواد رشيد محمد، رسالة ماجستير، كلية الاداب_ جامعة الموصل، ١٩٨٨

●ظاهرة الشكوى في شعر هذيل، بتول حمدي البستاني، رسالة ماجستير، كلية الاداب_ جامعة الموصل، ١٩٨٧.

●لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري.

●محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء البلغاء، الراغب الاصفهاني، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الارقم، بيروت، ١٩٩٩.

●معجم المعاني الجامع، ابي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الاصبهاني المعروف بابن المقرئ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل و مسعد عبد الحميد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

●نظرية الادب رينيه ويلك واوستن وارن، ترجمة: عادل سلامه، دار المريخ للنشر، (د. ط)، الرياض_ المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢.

Sources

• Complaint in Arabic poetry until the end of the third century AH, Dhafer Abdullah Ali Al-Shehri, doctoral thesis, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, 1990.

• Complaint in the poetry of the fourth century AH, Jawad Rashid Muhammad, Master's thesis, College of Arts, University of Mosul, 1988

• Lectures by Writers and Dialogues of Eloquent Poets, Al-Ragheb Al-Isfahani, edited by: Omar Farouk Al-Tabbaa, Dar Al-Arqam, Beirut, 1999.

• Lisan al-Arab, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram Ibn Manzur al-Afriqi al-Misri0

• Literary Theory by Renée Wilke and Austin Warren, translated by: Adel Salama, Al-Marikh Publishing House, (ed.), Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, 1992.

• The collection of long-lived poets, their news and poetry in pre-Islamic times until the end of the Umayyad era, Shams al-Islam Ahmed Halo, National Book House, 1st edition, 2010.

• The comprehensive dictionary of meanings, Abu Bakr Muhammad bin Ibrahim bin Ali bin Asim Al-Asbahani, known as Ibn Al-Muqri', edited by: Muhammad Hassan Muhammad Hassan Ismail and Musaad Abdul Hamid Al-Saadani, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 2003

• The phenomenon of complaint in Hudhail's poetry, Batoul Hamdi Al-Bustani, Master's thesis, College of Arts, University of Mosul, 1987.